د. مصطفى فايز
www.mostafafayez.com
www.farmcaring.com

التفاؤل.. سلوك الرجال

المتفائلون بالخير يجدونه واقعاً سعيداً والمتشائمون لا يرون إلا البؤس والشقاء.. وقد حجبوا أعينهم عن رؤية المبشرات

نعم إنه التـفـاؤل، ذلك السلوك الذى يصنع به الرجـال مـجـدهم ويرفعون به رؤوسهم.

نعم إن التـفـاؤل نور وقت شـدة الظلمـات ومـخـرج وقت اشـتـداد الأزمات.

نعم إن التـفـاؤل مـتنفس وقت الأزمـــات، والكربات وبه تحل المشكلات وتفك المعضلات.

ولكن متى يحدث لك هذا؟

يتم عندمـا تنسـجم روحك مع سنن الله -عـز وجل- فى الكون، وتتجاوب مع نعمه تعالى، فتكون متـفـائلة برحـمـتـه مطمئنة بقدره راضية بقضائه فلا ترى فى الحياة

إلا كل ما هو خير وبركة، وعلى العكس إذا كانت روحك فى حالة تضاد مع تلك السنن وتجرى خلاف مجرياتها فتندب حظها، ولا تنتظر الرحمة ولا تطمئن إلى المصير ولا ترى إلا الظلمات.

فيصبح التفاؤل وقود الروح وينجح به حامله، ويرى وسط الظلمة نقطة النور ويسير نحو النجاح.

وإنى لأدعو الله حتى كأنما
أرى بجميل الظن ما الله فاعل

استمداد القوة من الله العظيم القادر، فعل النبى ﷺ فى أشد يوم مر عليه- يوم الطائف- فيقول: «إن لم يكن بك غضب علىَّ فلا أبالى ولكن عافيتك هى أوسع، أعوذ بنور وجهك الكريم الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل على غضبك أو ينزل بى سخطك، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك».

النبى القدوة:

لم يتحدث النبى ﷺ عن حظه العاثر، لم يعلن يأسه وقعد يندب إخفاقه، لم يتكلم عن حياته الدعوية التعيسة، لم يسمح لنفسه أن تتسلل ولو للحظة عبارات الإخفاق أو الفشل وحاشا لله- عز وجل- أن يفعل.

التفاؤل طاعة

الروح والتشاؤم معصيتها

ومن التفاؤل يولد الأمل.. ومن الأمل يولد العمل.. ومن العمل يولد الإنتاج

بل لجأ إلى الله -عز وجل- وحتى عندما جاء جبريل ومعه ملك الجبال يريد -لو رغب النبى ﷺ أن يطبق عليهم الأخشبين، ماذا تمنى النبى ﷺ، تمنى أن يخرج من بين أصلابهم من يعبد الله.. قمة التفاؤل.

تطلع للمستقبل، لم ينظر إلى الماضى أو الحاضر، وما هو به وما فعلوه به، لم يغرق فى الماضى ولم يعش فى الحاضر إلا معيشة عابرة.

تخلص مما مر به، ورجع إلى الله يطلب منه ألا يكون غضبان عليه.

ولذا يقول الشاعر:

على الرجاء يعيش الناس
فالدهر كالبحر والآمال كالسفن

إن أهم أساس فى التفاؤل هو أن تستوثق من حبل الله عز وجل.

فاشدد يديك بحبل الله
فإنه الركن إن خانتك أركان

وانظر إلى أبى بكر فى الهجرة والرسول يقول له: «لا تحزن إن الله معنا» عندما كان يطاردهما سراقة،

وعندما كانا فى الغار والكفار على باب الغار ويقول أبو بكر، يا نبى الله لو أن بعضهم طأطأ بصره لرآنا. قال الرسول: «اسكت يا أبا بكر، اثنان الله ثالثهما» متفق عليه.

وأنت ماذا تفعل فى حياتك؟!

إن كان لديك التفاؤل فهو الذى يدفعك إلى الجد واعلم أن:

– الرسول ﷺ قال: «**تفاءلوا بالخير تجدوه**» فإن أردت الخير فلا بد أن تسلك هذا الطريق.

– على بن أبى طالب قال: «تفاءل بالخير تنجح» فالمتشائم لا يجيد التكيف مع الأوضاع الجديدة لأن موقفه السلبى يعميه عن رؤية الحلول الممكنة.

– لا بد من فرض السيطرة على حالتك النفسية، فالحياة ستعرض عليك كلاً من الأمل واليأس فى كل مراحل حياك وفى كل الظروف، فاختر الأمل بإرادة من جديد، فالمتفائل يعتمد على عكاز الإرادة ليقوم من حديد بعد كل إخفاق، والفاشل المتشائم ضعيف الإرادة ينتحب لكل مشكلة تعترض مسيرته القصيرة.

– يجب التصرف مع التفاؤل والتشاؤم كما تتصرف مع الواجب والحرام.

فالتفاؤل طاعة الروح والتشاؤم معصيتها :﴿**إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾.

فالتفاؤل واجب والتشاؤم حرام.

والرجاء واجب والقنوط حرام.

– الزمان يتغير والأحوال تتبدل، ودوام الحال من المحال، يقول على بن أبى طالب: «لا تيأس من الزمان إذا منع ولا تثق به إذا أعطى وكن منه على أعظم الحذر».

– يجب دراسة الوقائع والأمور بموضوعية، فالنجاح فى الحياة ومواقفها الصعبة يتطلب تحليل الأمور بدقة يقول أحدهم: «إياك وتجاهل الحقائق الصعبة، إن الاعتقادات المتفائلة تساعد لكنها لا تغير الحقائق».

– النشاط الدائم والعمل المستمر يصرف عنك التفكير والقلق واليأس، وفى النهاية الوصول إلى حالة التشاؤم. قيل ذات يوم لرئيس وزراء بريطانيا السابق ونستون تشرشل: هل تصاب بالقلق؟ فقال: ليس لدى وقت لمثل ذلك.

والهمسة الأخيرة لك:

– من التفاؤل يولد الأمل، ومن الأمل يولد العمل، ومن العمل يولد النجاح.

– من يملك الأمل يملك سفينة يمخر بها عباب البحر.

– العاجز المتفائل خير من المقتدر المتشائم، فالتفاؤل قد يحول عجز الأول إلى اقتدار، بينما التشاؤم يحول اقتدار الثانى إلى عجز.

– أعظم البلاء انقطاع الرجاء.

– يقول إيزنهاور: «التشاؤم لم يربح معركة أبدًا».